خواطر

حب وكراهية

□ د . عوض الدحة

قالت : إن الحياة .. بدونكم تكون عذابا .. وهي معكم تكون أيضا عذابا .. إننا نكره الحياة بدونكم .. لأن وجودكم فيه لنا أمان واطمئنان .. ونحن نكره الحياة معكم لأن الحياة معكم معناها المرض والعلل والأوجاع .. ولولا الأمراض ماعرفنا إليكم طريقا .. ولاسلكنا إليكم سبيلا إننا نكره أن نقترب منكم .. كما نكره أن نبتعد عنكم .

إننا نذهب إليكم لكي تطمئنوا خواطرنا .. ونذهب إليكم لكي تصدموا مشاعرنا .. لست أنسى يوما من حياتى .. حادثة فيه شك قاتل .. حينما حسبت أنى مريضة بالسرطان على أثر مقال قرأته فى إحدى المجلات التى تنشر الطب والفكاهة والمرح .. يومها أظلمت الدنيا فى ناظرى .. وأحسست كأن حكما بالإعدام يلاحق خطواتى .. وأردت أن أسمع حكما بالبراءة .. أردت قلبا حانيا يمتص أوجاعى .. أردت يدا رحيمة تنتشل قلبى من مستنقع الأحزان .

وتوجهت إلى عيادة الطبيب .. وحيالى أشد ماتكون سوادا .. ونمت فوق سرير الكشف وأحسست أنى أنام فوق منصة .. أو فوق تابوت من توابيت الموتى .

وتكلم الطبيب .. فكانت كلماته على قلبى هى أحلى الكلمات التى سمعتها فى حياتى .. كانت كلماته كأنها غناء .

لقد جئت إلى عيادته وكأنى خارجة من الدنيا وكأن الشوارع قبور .. وكأن ملابسى أكفان سوداء .. وخرجت وكأنى أدخل الدنيا لأول مرة فى حياتى .. وكأنى أرتدى ثياب عروس فى ليلة زفاف .

ولكننا مهما شفينا من أمراض على أيديكم .. فسوف يأتى يوم لا نشفى فيه أبدا .. ان حياتنا تنتهى بين أيديكم .. وأنتم آخر شهود لنا ونحن نفارق الحياة .. كما أنكم آخر من تقع عليه عيوننا .. قبل أن تغمض - لآخر مرة - هذه العيون .

إنى آسفة أن أقول إننا نشيع موتانا من عياداتكم ومستشفياتكم .. وطابور الجنازة يبدأ عند أناملكم .. وإن كنت أعلم أنه لاذنب لكم ولا حيلة .. حينما يجيء الموت على عبد من عباد الله .. ولكنه القدركم .. وقدرالناس معكم .

قلت لها : ماذا فعل بكم الأطباء .. إنكم تعلنون بحزبهم وبعدهم .. وهم أيضا يعلنون مثلكم .. ليس بسببكم .. ولكن من أجلكم .. فحياة الطبيب حياة كثيرة الأحزان لأنها مليئة بالصراخات والآهات .. وإذا كان المريض يتألم لنفسه فقط .. فإن الطبيب يتألم لكل مرضاه .. ومصيبته أنه يخزن الأحزان فى وجدانه .

ويعيش بين الناس حاملا آهاته .. ولو أنه أستطاع أن يبكى لبكى .. ولكنه مطلوب منه ان يتجلد وأن يتماسك مهما تساقط الآخرون .

أليس من الجحود أن تجعلونا شهودا على كل وفاة .. وتنسون أننا أيضا شهود على كل حياة ؟ !

ماذا جرى لأفكار الناس ؟ كأن فينا من يحيى ومن يميت .. وكأن هناك من هو مخلد على الدوام .. وكأننا ألغينا الموت من هذا الوجود .. وكأن الناس يموتون منذ بدء الخليقة بسبب جهل الأطباء .. وأنه لولا الأطباء لعاش آدم حتى الآن .. تذكرون هذا .. وتنسون لحظات الشفاء الحلوة التى طالما أعطاها الأطباء .. فى قيظ الصيف وزمهرير الشتاء .. ما أقسى الحقيقة يوما .. تكون بين أيدينا ولاتراها .. وقد نجحدها ونحن نراها .. وويل للناس من جحود الناس .

أشياء

رغم أنف أبى الهول !

□ عادل البلك

قلنا وأغمضنا ودهنا عندما بدأ زحف المبانى على الأراضى الزراعية حتى ارتفع سعر كيلو الخضر إلى عشرة أضعاف ماكان عليه عام ١٩٦٠ .

وكلما انحسر اللون الأخضر عن أراضينا وارتفعت المبانى فوقها ، ارتفعت أسعار الخضر .. ولكننا لم نستطع أن نواجه غلة كان هدفها الربح الواسع السريع .. فإن الأراضى الزراعية لم تعد الأمل المنشود .. وتحولت أراضى الإسكان إلى فرصة لبيض الذهب والماس لبعض الناس على قلتهم .. والألم والمرارة للبعض الآخر على كثرتهم .

ثم بدأنا بعد ذلك نتجه نحو الأراضى الصحراوية .. ولا عطأ ولا خطر فى هذا الاتجاه إلا أن تكون هذه المناطق أثرية .. منطقة الأهرامات وأبى الهول مثلا أو بالتعبير الأكثر انتشارا هضبة الأهرام .. وهى المنطقة الأثرية الأولى فى العالم وهى قبلة الملايين من السياح والآلاف من حجاج الأهرام .. يحجون إلى هذا المكان ويتعبدون فيه .. ومع البداية وفى النهاية فهى منطقة شديدة الجذب للسياح ولأمراضهم التى يمكن أن توظف فيما يخدم الاقتصاد والصناعة والتجارة والدخل القومى كله .

والذى يحدث فى هذه المنطقة الآن هو جريمة فى حق ٧ آلاف سنة من حضارة المصريين .. فالمساكن بدأت تزحف تجاه الهرم وأبى الهول .. وأعمدة الخرسانة المسلحة تدك إلى أعماق بعيدة فى الأرض .. ولا يهم ما تصادفه هذه الأعمدة وهى فى طريقها إلى الأعماق .. قد يكون تابوتا لفرعون أو مسلة حفر عليها الأجداد تاريخهم أو ربما كان حجرا لا يقل أهمية عن حجر رشيد .

وهذه المنطقة هى نزلة السمان يعرفها المصريون بهذا الاسم منذ ألف سنة .. ولكن تاريخها يمتد إلى أكثر من خمسة آلاف سنة قبل ذلك .. وكان الملك خوفو يقيم فيها ٣ شهور فى السنة فيترك العاصمة منف .. وكان الكنعانيون فى عصر الدولة الحديثة يعبدون للإله حوررن فى نفس المنطقة التى تحمل نفس الاسم حتى الآن - قرية الحرابية - وفى العصر اليونانى الرومانى أقيمت قرية بوزيرس من ٢٥٠٠ سنة فكانت مكانا دينيا سياحيا .

لكل هذه الأسباب صدر القانون رقم ٢١٥ لسنة ١٩٥١ تمنع بناء المساكن فى هذه المنطقة .. وهو يركز على نزلة السمان ويقول إنها المنطقة رقم واحد فى منع عمليات البناء عليها .. وعلى عادتنا استعنا بالخبراء الأجانب .. وجاء عالم أثرى كبير اسمه ولد بانك وأقام فى المنطقة وتجول فيها ونظر حوله فى كل الاتجاهات وخرج بخمسة بنود كان المفروض أن تكون دستورا لهذه المنطقة :

● ان تبتعد المبانى الحديثة عن هضبة الأهرام مسافة ١٠ كيلو مترات على الأقل .

● وأن تظل المسافة من أهرامات الجيزة إلى منطقة سقارة كما هى حتى لا تلغى بانوراما .. منطقة الآثار .

● عدم دخول أى نوع من العربات إلى المنطقة الأثرية .

● تغيير شكل اسفلت الطرق بين هذه الآثار بما يلائم حضارة ٧ آلاف سنة

● إزالة كل الاشغالات القائمة على الهضبة .

وكانت هذه الإشغالات قليلة فى ذلك الوقت .. ولم يكن هناك إلا الفيلا الصغيرة التى يشغلها الآن مقهى لاورند وكان يقيم فيها الحاكم الإنجليزى الذى كان يحلو له أن يضع العلم البريطانى فوق صارى قمة الهرم فيشاهده أهالى القاهرة والجيزة وبنى سويف والفيوم .

أما الآن فأنت لا تستطيع أن تكتشف وجود الهرم على ارتفاعه الشاهق إلا من قرب ١٠٠ متر فقط منه .. فقد ارتفعت المبانى وزحفت حتى اقتربت من أنف أبى الهول وكادت تلتصق به رغم أنفه وأنف وزارة السياحة ومحافظة الجيزة والقانون الذى صدر من ٣٠ سنة ..